المحاضرة(١٤) حصار المسلمين في شِعب أبي طالب ـ عام الحزن :

حصار المسلمين في شعب أبي طالب: تطورت وسائل وأساليب **مشركي** قريش **للتخلّص من دعوة النبي (ص)** وإيقاف زحف الدعوة الإسلامية واتّساعها في مدّة غير طويلة ، **إلى فرض حصار اقتصادي قويّ على النبي(ص)** والمسلمين ، والغرض منه هو **قطع كل أوصال الدعوة** الاسلامية ، **وكبح جماح سرعة** انتشار الدين الجديد بقيادة **النبي محمّد(ص) وأنصاره** ، ولهذا **فقد وقّع زعماء مُشركي** قريش في دار الندوة ميثاقاً كتبه**(منصور بن عكرمة) وعلّقوه في جوف الكعبة ، وتحالفوا على الالتزام ببنوده حتى الموت ، وتم ذلك في السنة السابعة من البعثة** (قبل الهجرة المُباركة) وقد ضم الميثاق البنود التالية :

١- لا يزوجوا بني هاشم و لا بني عبد المُطّلب .

٢- لا يتزوجوا هاشمية .

٣- لا يُبايعوهم .

٤- لا يبتاعوا منهم (لايشتروا منهم) [١].

ولكنّهم تأكدوا بعد فترة ليست قليلة بأنّ حصارهم هذا لم يأت بنتيجة مرجوَّة ، ولم يتحقّق هدفهم منه **رغم استخدام كل** الوسائل والأساليب ، **بعدها فكروا** في نقض الميثاق بأيّ شكل **اذا فقد صرّح** زهير بن أبي **أميّة** في مجلس قريش في المسجد الحرام بعدما اتّفق مع عدد آخر من المعارضين لمقاطعة بني هاشم ، قائلاً: يا أهل مكّة ، **أنأكل الطعام** ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لا يُباع لهم ولا يُبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تُشَقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، **وقام (المطعم بن عدي)** إلى الصحيفة ليشقّها ، **فوجد أنّ** الإرضة قد أكلتها **إلاّ عبارة:**(باسمك اللّهم) **ولمّا علم أبوطالب أسرع** إلى الشِعب يخبر الرسول**(ص) بما جرى ، ولفك الحصار وعاد** المحاصرون الى منازلهم مرَّة أخرى . **وكان النبي(ص) قد عَلِم بأمر الأرضة التي أكلت** الصحيفة وقطّعتها **إلاّ اسم** الله ، **فأخبر أبطالب بذلك ، الذي قام بإخبار** زعماء قريش بذلك ، واتّفق معهم على: **إن كان ما ذكره الرسول(ص) حقاً؛** فاتّقوا الله وارجعوا عما أنتم عليه من الظلم والجور وقطيعة الرحم ، وإن كان باطلاً دفعته إليكم ، **فإن شئتم قتلتموه** ، وإن شئتم استحييتموه **؟ فقالوا:** رَضينا ، **وتعاقدوا على ذلك** . إلاّ أنّهم نقضوا اتّفاقهم ونكثوا عهدهم **لما** شاهدوا وتأكدوا ما قاله **النبي وازدادوا شراً** ، ورجع بنو هاشم مرّة أخرى إلى الشِعب محاصَرين فيه فترة أخرى، حتى نقضها هشام بن عمرو فانتهى الحصار الاقتصادي لبني هاشم في منتصف شهر رجب من السنة العاشرة للبعثة النبوية الشريفة.

عام الحزن: انتهت مُحاصرة مشركي قريش لمحمّد(ص) ومُسلميه الأوائل ، ولكنها لم تكن نهاية المحن ، اذ توفيت أم الأسلام والمسلمين الأولى السيدة خديجة بنت خويلد زوجة الرسول الأعظم حيث كانت أول من آمنت به وصدّقته ، وأنفقت كل مالها في سبيله ؛ والى ذلك أشار اليعقوبي: أنَّ خديجة أنفقت جميع ما عندها حينما كانوا في الشِعب حتى صارت الى حدَّ الضُر والفاقة [٢] وشاركته في تحمّل أعبآء تبليغ

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية :١ـ٣٧٥/٢ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ١/ ٣٥٠ .

الرسالة ، وبعدها بثلاثة أيّام فُجع الرسول مرَّة أُخرى إذ توفىّ حامي الرسالة وسند دعوته الأول عمّه وكفيله أبو طالب ، ووقف عليه ومسح جبينه الأيمن والأيسر، وتذكر حبُه الشديد له وكيف كان لايفارقه ويخصه بالطعام حتى أن بنيه اذا أرادوا أن يتغدوا أو يتعشوا قال لهم : كما أنتم حتى يحضر أبني (محمد)[1] ، ثم أبَنّه الرسول قائلاً: يا عم ربيّت صغيراً ، وكفلت يتيماً ، ونصرت كبيراً ، فجزاك الله عني خيراً [2] ثمَّ أردف قائلاً: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب [3] ، فتألمَّ لهذا المُصاب الجلل وحزن عليهما حزناً شديداً ، وكانت وفاتهما قبل الهجرة بثلاث سنوات وفي شهر رمضان المُبارك ، ولشدّة وقع الحادثتين على قلب رسول الله وحركة انتشار الأسلام سمّى ذلك العام (عام الحزن) [4]

---

(١) ابن الأثير (ابو السعادات)؛ مجدالدين المبارك بن محمد بن محمد (٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م) النهاية في غريب الحديث والاثر ، المكتبة العلمية بيروت – ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م : ١٧١/٣ ، ينظر : ابن برهان الحلبي ، السيرة الحلبية : ٢/١ .

(٢) ابن برهان الحلبي ، السيرة الحلبية : ٣٥/٢ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٤١٥/٢-١ ، ينظر: الطبري ، تاريخ الامم والملوك :٨١/٢ ، للمزيد ينظر: الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيح:، للمزيد ينظر:ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٦م) تاريخ دمشق ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر للطباعة و النشر بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م : ٢٨٤/١ .

(٤) يبحث حول ايمان أبو طالب : ترى مدرسة آل البيت أنَّ أبا طالب قد أسلم ولكنه لم يُظهر اسلامه ليتسنى له حماية رسول الله(صلَّى الله عليه وآله وصحبه) ولأن رابطة الدم والقرابة كانت هي الحاكمة في المجتمع العربي فقد اتخذها أبو طالب ذريعة لحمايته ، ولهذا أشار حفيده الامام جعفر الصادق(عليه السلام) قال : (انَّ مثل أبي طالب كمثل أصحاب الكهف أسرَّوا الايمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله اجرهم مرتين) مصادر الحديث؟ فيما أنكر بعضاً من مؤرخي السنة والجماعة ايمان أبي طالب وأدعوا بأنه لم يؤمن حتى وفاته ، ولكن العكس هو الصحيح نظراً لوجود الشواهد الكثيرة التي تُثبت ايمانه بلاسلام وايمانه بنبوة رسول الله محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وصحبه) ومنها الحديث المُتقدم ذكره في وفاته وتأبين سيدنا محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وصحبه) له فهو يدعوا له بالجزاء والثواب لما أبدى من تضحية لحمايته ودعوته المباركة خصوصاً الحصار وتبعاته من جوع وألم وفقر وفاقة الذي تعرض له مع عائلته والاَّ لو كان مشركا لما تصرف النبي معه هكذا ، ولا يعتقد مسلم بذلك الاَّ أن يُتهم رسول الله بدينه وبقرآنه (وحاشى وألف حاشا وكلاَّ وألف كلاَّ) وهل أنَّ محمداً يُحابي عمه على حساب دينه ولماذا لم يفعل ذلك مع عمه أبو لهب ؛ ولعل من عشرات الادلة التي تثبت ذلك لقد استمَّر أبو طالب يُدافع ويُساند رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وصحبه) مُدة (سبع سنوات) من غير كلل أو ملل ، ووقف طيلة تلك السنوات العجاف بوجه مشركي قريش من ابنآء عمومته وقومه أهل مكَّة غير عابئاً لهم ولا مُكترث بهم ، وهذا يُمثل دليلاً واضحاً اضافة للادلة الأُخرى على ايمانه وعقيدته الراسخة ، أمَّا الذي يرى أن هذي الجهود هي مجرد دافع القرابة فهذا غير صحيح لأنها لايُمكن أن تشكل حافزاً يحدو بالانسان الى بذل كل هذه التضحيات وتحمَّل كل المتاعب ومُجابهة كل هذه المُخاطر بدون التقرّب الى الله تعالى اذن فلابدَّ من وجود ركائز اعتقادية البتَّة ؛ وان كان دافع أبا طالب الى اتخاذ تلك المواقف الصعبة هو دافع القرابة فحسب فلماذا لم يقتدي به أخوته الآخرون ـ العبَّاس وأبو لهب ـ بل رأينا العكس من ذلك؛ فهذا أبو لهب قد نزلت فيه وأمرأته أم جميل أبنت أبي سفيان سورة قرآنية تقرر حكم الله عزَّوجَّل الخالد فيهم وأن مثواهم جهنم وبئس المصير ، وعمه العباس لم يدخل الاسلام الاَّ بعد فتح مكَّة المكَّرمة للسنة الثامنة الهجرية بل وشارك في غزوة ـ بدر ـ في صف المُشركين تحت لوآء أبي سفيان وكانت نتيجته أنْ أسر وأطلق بفدية ورغم هذا وذاك ذلك فلم يتفوه أحد ويقول بان العباس كان كافراً ، والحق أنَّ أبا طالب كان المُحامي والناصر لدين الله تعالى ، وهناك العشرات من الادلة أثنان ؛ نذكر منها و على سبيل الاختصار؛ أولاً ـ حين تآمر مشركوا قريش لاسترداد المسلمين االذين هاجروا سرًّا الى الحبشة بامر الرسول (صلَّى الله عليه وآلاه وصحبه) فكتب أبو طالب كتاباً الى ملكها النجاشي ملك الحبشة يحضَّه على حُسن جواره والدفع عنهم وختمها بقوله :

تعلَّم مليك الحبش أنَّ محمَّــداً نبيٌ كموسى والمسيح بن مريم

أتى بالهدى مثل الذي أتينا به وكل بامر الله يهد ويعصم (ديوان أبو نعيم علي بن حمزة البصري التميمي الصقلّي (ت ٣٧٥هـ) .

ثانياً ـ قال مخطباً مشركي قريش حين طلبوا منه تسليم محمداً (صلَّى الله عليه وآله وصحبه) :

ألم تعلموا أنَّا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خط في أول الكتب (ابن هشام السيرة النبوية :٣٧٧/٢-١ ، ينظر ابن أبي الحديد:٧٢/١٤ .

ثالثاً ـ حين أثنى على دين محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وصحب ولقد علمت أن دين محمَّد من خير أديان البشرية ديناً (العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، بيروت دار احياء التراث العربي:١١٦/١٤ ، ينظر :ابن كثير ، البداية والنهاية ، بيروت مكتبة المعارف الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م :٤٢/٣، وأمثال هذا كثير قولاً وفعلاً ؛ فهل يتقبل عاقل أنه كافراً ولماذا لم يرفع عقيرته كأخيه أبي لهب وأمراته أم جميل حمَّلة الحطب أبنت أبي سفيان ، والتاريخ كفيلُ بذلك !